(١)

هيا إلى القبلة
في هيكله
محمد عيد غريب (أب سريع)

حديث صلاة عيد الفطر

١ شوال ١٣٨٤ هـ - ٢ فبراير ١٩٦٥ م

عاد قريبا، ولم يعد بعيدا.. عاد وما عِيد، وقام بيننا ولا جديد، انشقت عنه الأرض، كما انشقت عن كل وليد، وداناه الروح الرشيد، كما هو لكل سعيد، عِيد فكان العيد، وتحدث فكان الحديث القديم للأمر الوليد، فصدَق الوعد، وسألنا الله أن يقينا به الوعيد.

أخرجه دابة من الأرض تُكلم الروح منها الناس، أن الناس كانوا بآيات الله تتحدث من دواب الأرض، لا يؤمنون ولا يوقنون، ولا يتابعون، ولا يقبلون، فكان دابة الأرض على ما يشهدون، وكان قبلة الصلاة على ما ينكرون، بيتاً للروح منه للروح يسمعون، ومنه للروح يستقبلون، ومنه بالروح يتصلون.

ففي أنفسهم لروح الله يكشفون ويشهدون، في مرآة من أنفسهم يلاقون، ومع روح الله لهم يتعاملون على ما بُلغوا وعلى ما هدوا، وعلى ما يعلمون، أقرب إليهم من حبل الوريد بها يقومون وبها يحيون، وعن طريق قبلتها في قلوبهم وجه الله بها فيهم يستقبلون، وبيتها يطوفون، ومعها في معاملة مع أنفسهم يتعاملون، وفي قلوبهم مع عقولهم يتلاقون، وفي عقولهم عن قلوبهم يتذاكرون، وفي نفوسهم بأبعاضهم لحقائقهم يتواصون ويتحدثون، فالله يوحدون، وبه لا يشركون، وبقائمه لهم لا يجحدون، وبقيومه عليهم يعتزون ويعزون، ويرقون.

دابة من الأرض تكلمهم فتُسمع من يسمعون، ومن يؤمن بالله فلا يمنع الماعون من أن يستقبل الله نورا بحكمته، على نور الحياة بنعمته، ويعرف فيه له خير عون. من ينشد الله لا ينكر عليه معيته له، ولا

يجهله حياته منه، ولا يظاهره مستقيم عقله، قائم وقيوم نوره لإرادته وفعله، ولا يجحده طيب نفسه وزكي ناره من مشرق نار قدسه، فقد عرفه، ووجده، ووحده.

يراه لمعنى حيوانه مطية الله من حيث ذاته، ويراه دابة الأرض من حيث صفاته، ويراه دابة السماء من حيث عتقه وانطلاقه من سجين مادته، فينكر عليه معنى الحق له بشبحه، ويؤمنه له بمعنى الحياة له لإنسانه.

فينشد إنسان قيومه بإنسان قائمه، في بيت وجوده لدابة شهوده، لقائم وحاضر مشهوده.

فينعكس إلى نفسه ببصيرته في موجوده، سائلا الأعلى أن يضع عنه وزره، وأن يكشف عنه غطاءه، وأن يقوم فيه أمره، وأن يقوَّم فيه مسلكه، وأن تستقيم له به طريقه.

فما جاهد نفسه إلى ذلك مجاهد إلا عرف أن سعادته في التلاقي مع مؤمن من دواب الأرض، وقع عليه اختيار الروح، واصطفاء الأعلى، به قد قاربت السماء أهل الأرض، فرأوا المطلق، واستمعوا له في غرفة ظهوره لوجوده، بقبلة الصلاة له، والحج إليه، لرؤيته ولشهوده رسولا من أنفسهم، وعلى عين مثالهم، انشقت عنه الأرض مغمورا، وتحدثت عنه السماء مذكورا، فعيد غريبا، وأصبحت به قبضة نور الله للناس معه ليست أمرا بعيدا.

فعرف به الإنسان وليد الأرض ما يكون الإنسان قبضة نور الله عيانا وبيانا. عرف الإنسان آدم الأرض ما تكون روح الله يوم ينفخ الله فيه من روحه، يوم يأمر عوالم النور أن تكون قاب قوسين أو أدنى من عوالم أديم الأرض، فيُبرز للناس آية من آياته ببشر من أنفسهم بينهم يبعث بالحق.

وكم أبرز الله أوادما بآيات، ومكرمين من أبنائه ببينات، جعلها منه الكلمات، ونشرها منه الكتب والبشارات، وأقامها نوره يمشي به في الناس، رسلا بحقائق الله وببيان عن حكمة الله، بآي الله.. وبنور الله.. وبروح الله.. وبسر الله.. وبقدرة الله.. وبتصريف الله.. وبهدي الله.. المرة بعد المرة، في كل زمان، وفي كل مكان.

فكيف استقبلها الناس بالجحود، وبالكنود، وهي فيهم، ولهم، ومنهم وجوه العابد، وعين وجه المعبود بما أقامها، وُعِدوا ليكونوها، وفي أنفسهم لأنفسهم يعرفوها، ويلاقوها، ويشهدوها، ويقوموها، ولعملهم منهم لهم يظهروها؟ ولكن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون ولا يؤمنون، ومن كسبها لأنفسهم ييأسون. {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[1]، ولنقيضها منهم بينهم بوصفها، ظلما لأنفسهم يتابعون، ووصفها له ينسبون، والأُمة لأنفسهم يزعمون، وببهتانهم يتمسكون، وعنه لا يحيدون. {لكم دينكم ولي دين}[2].

ها هي في عيان.. ها هي في بيان.. ها هي في رسالة بعنوان، وحديث بتبيان، وقيام بسلطان، وانتشار بلا نكران ولا نقصان، تنشق عنها الأرض، وتحل بها السماء، وتظهر قبضة النور للعطاء والجزاء في جلباب من الإنسان للمعنى والعنوان، للروح والبنيان في كل أُمة وفي سائر البلدان.

قيامة من قيامات الله بجحدوها كلما قامت، وأنكروها كلما قَوَّمت، وظاهروها كلما نادت، وبكوها كلما احتجبت، وما لبوها كلما تجددت، وقد دعتهم لعاجل وآجل العطاء، وحذرتهم من عاجل وآجل الجزاء، وهي في هذا الزمان في سفور بالعنوان، وفي ظهور بالأمر للعيان، يعز على الجحود، ويعلو فوق الكنود، ولا يخفى لمبصر عن الوجود، ولكن الناس هم الناس مع ما ورثوا عن آبائهم من الغفلة والكنود.

ولكن الناس على ما هم الناس، ما يأتيهم من ذكر مُحدث إلا كانوا به يهزأون، وبدعوته يستهترون، وآذانهم عن ندائه يصمون، وعن السعي إليه يتقاعسون، فتعالى الله عما يصفون، وتعالى رسول الله عما يقدرون، وتنزه الله عما يشركون، وتنزه رسول الله عما يزعمون.

قبضة نور الله كانت وصارت محمَّدا ينكرون، وها هي قبضة نور الله تكون محمدا عيد غريبا وما يدركون، ولا يستجيبون، ولا يستقبلون، وعليها لا يتزاحمون، بل عليها دون رؤية لها ينكرون، ودون ما سعى إليها يجحدون، ودون ما تجربة معها يخاصمون.

ها أنتم لهذا الأمر تدركون، وإلى قبلته فيكم تتجهون، فاحمدوا الله وكونوا له من الشاكرين أن هداكم لنوره من حوضه تغترفون فكنتم بنوره من العارفين، واستقبلتم قبلته مرضية فكنتم في مناسككم من المصلين، وطفتم حول عَلَم رسالتكم وحقيقتها للحق طالبين، وحول البيت الطائفين، فكنتم الحاجين، القانتين، العاكفين.

بذلك كنتم المسلمين، ومن المسلمين. وعلى المسلمين تجتمعون في أزل متواجدين، أحرارا يتلاقون وللمسلمين يلاقون في أبد لا ينقطعون. تنشدون إخوانكم من المسلمين في قائم الحياة لا يختفون، وعنها لا يبترون.. تعرفون المسلمين في الروح الأمين، في كل صادق له إلى الله حنين، ولصوت الله في قلبه قيام ووجيب ورنين، من أُمم الأرض على الروح الأمين يجتمعون، وفي الرسول الأمين وطنا كبيرا لهم يقيمون، مزوية الأرض مسجدا وطهورا لإمامهم كوثرا موجودا متواجدا في كل وقت وحين.

كيف يجحد الحق والحق ليس على الخلق بضنين! (عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من الموتى، [تكن من المؤمنين])[٣] ومن الموحدين، وأحياء المنتقلين، ما هم عنك ببعيدين، هم شهداء الحياة الدانية في سبيل الحياة الباقية، وما زالوا عاملين.

هم من جعلوا من حياة المادة لأديمهم بأوادمهم مهدا لحياة الروح في نشأتها، فقامت فيهم الروح في مهدهم لأوادمهم، من طفولة بدئهم بمقيد ذواتهم لعوالمهم كراسي سلطانهم، ثم واصلت بهم عروة وثقى حتى تحدثت منهم بحكمتها، في كهولتهم بأمرهم من الحق، لعوالمهم عروش رحمانهم من دائم قيامهم لقائم الحق بهم.

يوم استقام في الله أمرهم عادوا برضائهم بجديد لهم ورضوان من الله أكبر أشباحا وأرواحا. ما أعيدوا وما ردتهم السماء ولكنها بهم رحبت، ولهم احتضنت، وبهم اتسعت. ولكنهم لم ترقهم حياة السعادة نعموها بعيدين عن الأرض وأهلها فارقوها وتركوها، يوم حمل إليهم أن أبناءهم على الأرض ما زالوا في حياة الشقاء، وقد تضاعف حتى إلى هلاك أنفسهم، فعادوا إليهم حقائق لا تكلم الناس إلا وحيا أو من وراء حجاب، من وسيط من أنفسهم سفورا للروح بحقها ورحمتها.

فبالحق نزلوا ما قهروا وما أنزلوا، وعلي الأرض بجديد قاموا، ما خُدعوا، وما بها سعدوا، ولكن شاركوا أهل الشقاء في الشقاء، وأهل الدعاء في الدعاء، وأهل الولاء في الولاء، وظهروا آيات الله بالجزاء والعطاء، وبالمحنة والبلاء، فظهروا المجاهدين، وظهروا الصابرين، وظهروا أهل العزم على ما يطلب لأهل العزم من أهل اليقين، في السيد المنفرد، في الموجود الواحد الأحد بآحاد حقائق من أئمة هديه، من أمم في أفرادها، ومن أفراد في أممهم، بأرواح دانت عينها في هياكلها أشباحا، من الروح تجسدت هياكل بقانون الشفع والوتر، لفجر وليالٍ عشر، بين فتق ورتق أو رتق وفتق.

رسالة الله قائمة ودائمة لا تجز ولا تنقطع. وهدي الله المحيي المسعد لا يختفي ولا يمتنع، إلا عن عقول ملتوية، وقلوب منحرفة، ونفوس طاغية متكبرة أو متخاذلة متداعية.

إن هدى الله معية كل إنسان ما طلبه. ما جاهد فيه مجاهد إلا هداه السبيل، ورزقه الدليل. ما طلب طالب أن يغير الله ما في نفسه وغير ما في نفسه، إلا وغير الله له ما في نفسه، فقوم طريقه، وعرَّفه صديقه.

وما طلب الإيمان طالب إلا هُدي إلى المؤمن ليكون على دين خليله، وليكون المؤمن مرآة المؤمن إلى أزل للمؤمنين به، يقوم الإيمان إلى أبد بالمؤمنين أمرا وسطا، يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤمن بالله، لقائمه وقيومه عليه، وقيومه به، وقائمه منه. فما سعى للخير ساعٍ إلا هُدي للمعين، وما اعترف بما في نفسه معترف بضلال إلا جمعه الحق على الدليل، وهداه إليه السبيل.

ها نحن الآن تتجدد بيننا رسالة إنسان الله، القديم أُمة قام وأُمة في دوام يقوم، رسالة هي في حقيقتها ومعناها صفة من صفات الله. الإنسان بها قيام في قيام قائم الله. رسالة ليس لها ولا يعرف لها بدء،

ولن يكون لها انتهاء، ولكن يعرف لها ظلال تعنون العصور والأزمان، ويقومون الكتّاب والعنوان، وينتشرون اسم الله وذكره، في بيوت موضوعة وبيوت مرفوعة، بدأت لنفوس مغفورة، وقلوب مبعوثة غير مقبورة، بعقول متحررة مدكرة شاكرة مشكورة، مذكرة مذكورة.

ها نحن الآن نشهد علم لا إله إلا الله على ما شهد في كل زمان، ونستقبل بيت لا إله إلا الله على ما استقبل في كل أمة، في جميع البلدان، ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه، ليشكروا الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. ها نحن نشهد اليوم وفي هذا العصر رسالة لله تصدر عن دابة تنشق عنها الأرض في كل مكان، وفي جميع البلدان، تكلم الناس بحالها ومقالها، {أن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون}[٤].

وها أنتم باقتدائها واستقبالها قبلة صلاتكم ونصب حجيجكم، بمعناها لأنفسكم تقومون، ولمعناها تدركون، يوم تتأملون ما بها وبه تقومون، فتسعدوها يوم أنكم عليها تحرصون، وتتكشف لكم عنكم فيكم بكم منكم، كلما أنتم لمجاهدتكم أنفسكم تواصلون. تعالى الله عما يصف الواصفون، وتعالى رسول الله عما يحرف المحرفون، وعما يقوم الضالون المضلون باسمه باسم ربه يتحدثون، والرسول وربه منهم يبرأون على ما يعلم العالمون، ويشهد العارفون، ويقبل المتبصرون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم افضحنا ولا تسترنا حتى يتميز الخبيث من الطيب، وحتى نعرف مسالكنا، وحتى نتبين طريقنا، وحتى نعرف أهل الإيمان منا، ووجوه الله لنا، فنستقبلها، ونشهدها، ونقومها، ونعلمها، ونتوحدها.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم بإنسان القدم لك في جديد بأمرك به لنا، في دوام أنت راحم.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وعرفنا مناسكنا، وقوِّم فيك طريقنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.. اللهم ولِ أمورنا خيارنا برحمتك، وادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، بعزتك، ولا تعاملنا بما نحن له أهل بعدلك، وعاملنا بما أنت له أهل برحمتك.

أضواء على الطريق

أين هو آدم الآن؟ نعلم من التبليغ في كل رسالة أنه جاء إلى الأرض.. وأنه الأصل الأول لكل من عليها من البشر.. إنه البشرية بجماعها.. وهذا ما عرفه به الرسول بحديثه عنه وعن عليّ بوصفهما ولدان له (مازال نوري ونورك يا عَلِيّ، يتقلبان من ظهور الأخيار إلى بطون الأحرار من ظهر آدم، حتى استقر نوري في عبد الله ونورك في أبي طالب، أنا خيار من خيار من خيار) [٥]، ولكن ماذا آل إليه أمر آدم الفرد بعد مفارقة ذاته من الشبح؟ إن الذي تعدد إلى جموع هذه البشرية، إنما هو موجوده بالشبح. فهل فارق موجوده بالروح هذا الموجود بالشبح يتعدد ويتكاثر؟ وبماذا يجيب التبليغ

عن هذا التساؤل؟ يقول الرسول: (كلكم لآدم وآدم من تراب)[٦]، مشيرا بذلك وموجها إلى أن أمر الإنسان إنما هو شأنه من الروح، {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[٧]، {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}[٨]، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}[٩]، {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[١٠]، {وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}[١١]، {إذا سويته ونفخت فيه من روحي}[١٢]، {إني جاعل في الأرض خليفة}[١٣]. إنها قصة البشرية على الأرض وفي سماواتها، على ما رواها وعرفها إنسانها لسبقها، لإنسانها بقيامها.. {وإذ قال ربك للملائكة...}[١٤] كشفنا عن ناموس الفطرة وصبغتها بالإنسان علما على الأعلى والأعلى من الإنسان، حتى إلى ذات تظاهرها العزة. ما زال آدم يتجدد فردا وسط جمعه لفرده روحا ناميا، كلما تجدد الاصطفاء من الأعلى لجديد بدء له. {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}[١٥]، {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين}[١٦]، (قبل آدم مائة ألف آدم)[١٧]، (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم)[١٨]، فآدم لم يفارق الأرض بتكاثره، ولكن الخفي على أهلها إنما هو ظهوره بفرده وجها لكله، وهو ما تنتظره البشرية دائما باسم المنتظر.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة يوسف - ٨٧

٢ سورة الكافرون - ٦

٣ حديث شريف ذات صلة، رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى." جاء بهذا الفظ عن ابن عدي". وأخرجه البخاري بلفظ: " أخَذ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنكِبِي - أو قال بمَنكِبَيَّ - فقال: (كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ) قال: فكان ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذا أصبَحْتَ فلا تنتظِرِ المساءَ وإذا أمسَيْتَ فلا تنتظِرِ الصَّباحَ وخُذْ مِن صحَّتِكَ لِمرضِكَ ومِن حياتِكَ لِموتِكَ".

٤ سورة النمل - ٨٢

٥ من حديث شريف جاء في موسوعة الإمام علي بالمكتبة الشيعية بصياغات متعددة. أما عبارة "أنا خيار من خيار"، فقد جاءت في أكثر من حديث شريف منها: "إن الله اختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، ومن مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار." رواه الحاكم.

٦ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خُلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد

٧ سورة يوسف - ٨٧

٨ سورة إبراهيم - ٢٤-٢٥

٩ سورة الرعد - ١٧

١٠ سورة آل عمران - ٥٩

١١ سورة النساء - ١٧١

١٢ سورة الحجر- ٢٩

١٣ سورة البقرة - ٣٠

١٤ سورة البقرة - ٣٠

١٥ سورة آل عمران - ٣٣

١٦ سورة الزخرف - ٨١

١٧ إشارة إلى حديث شريف ذكره الشيخ ابن العربي الحاتمي في الفتوحات، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق مائة ألف آدم".

١٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.